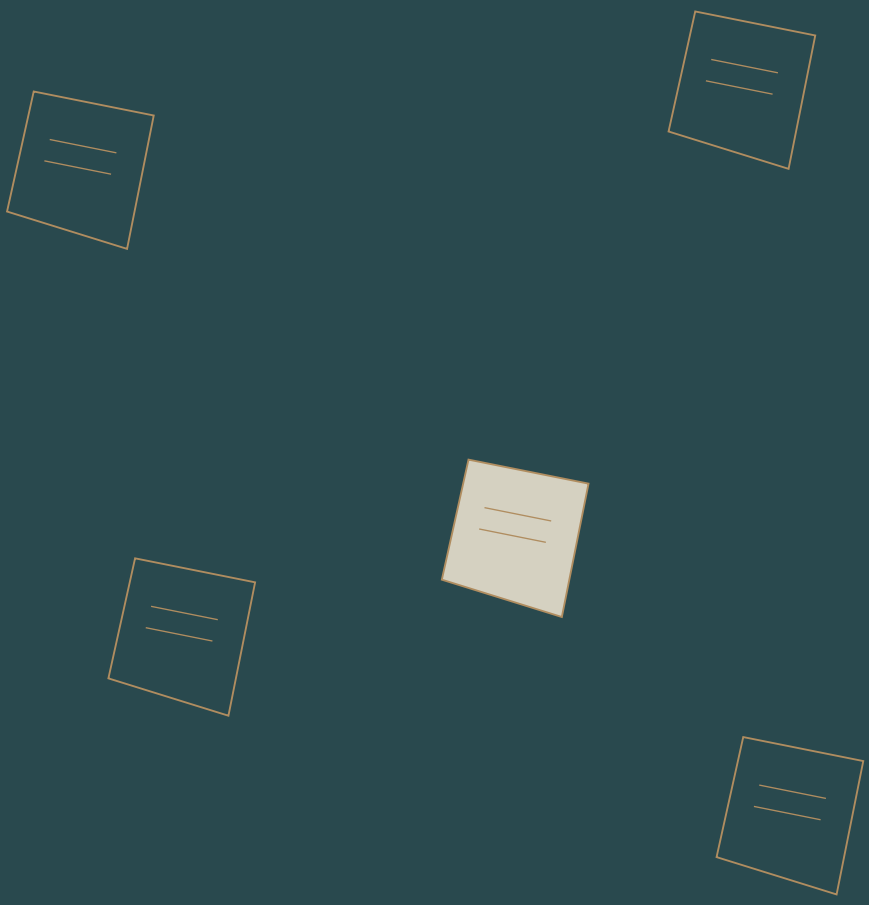
أوراق هاربة



خواطر وقصص قصيرة جدًا

كمال أحمد ضوا

الفهرس

دمعة مع فسحة أمل	2
في بلاد الغربة	4
وطن يابس	5
يوم في الشام القديمة	6
قامتا سنديان	8
في ذكرى الأب والعم	9
ذكريات وأحلام	10
من ليالي الخريف	11
حلم جميل	12
القفل والمفتاح	14
القفل والمفتاح	16
الحكيم... بائع الدخان والحصرم	18
أبيض وأسود	20
إجا البرد ع دارنا	21
عشتار الخصوبة	22
تأملات مصيافي	23
عين واحدة	24
وطن يابس	25
صفحات بخط اليد	26

دمعة مع فسحة أمل



مع إشراقة يوم من أيام نيسان الجميلة، انطلقنا مع ثلة من فريق الرابطة الثقافية النشيط والجميل، تلفنا الغيوم شرقًا وغربًا على موعد بيوم ماطر يغسل قلوبنا الصدئة.

دلفنا حمص العدية، فشاهدنا بيوتًا مهدمة وفارغة على طرفي الطريق وفي عمق الأحياء كمدية تغز في عمق الأحشاء.

ومن القطيفة اتجهنا غربًا وصعودًا بطريق يتلوى كأفعى سوداء تزحف على هضبة جرداء، وصلنا صيدنايا (صيد الغزالة) ودير السيدة، المكان الذي وقفت فيه الغزالة التي كان جوستنيان ينوي اصطيادها فتحولت إلى امرأة بيضاء غصة كأنها برج فضة، وتأتي بالمرتبة الثانية بعد كنيسة القيامة بالقدس.

واتجهنا شمالًا إلى معلولا (المدخل) وعبرنا الفج الذي فتحته القديسة مار تقلا بيديها البيضاء والطرية هربًا من ظلم أبيها وجنده، وتابعنا إلى مار سركيس وباخوس وشربنا نبيذ محبة وسلام.

دمعة مع فسحة أمل — تتمة



ووصلنا يبرود (المكان المرتفع البارد)، يقابلها من الشرق جيرود (المكان المنخفض الدافئ)، ومنها إلى وادي قرينا (قرينايا) ربة الينبوع. كانت الاستراحة في مطعم عين كوشل، وصادفنا صبايا بعمر الورد وشاهدنا النوسات (الناووس)، مدافن حجرية قديمة، وبحيرة كانت القوارب تمخر عبابها والمصطافون يتسامرون على ضفافها، ولكنها جفت في تسعينيات القرن الماضي كما جفت مآقينا وعروقنا بسبب حفر الآبار وجشع أهاليها.

وفي الختام كان مع كنيسة الأم هيلانة وقسطنطين، وهي من أهم عشر كنائس في العالم.

وعدنا أدراجنا بفرح يعب ثنايا قلوبنا الثكلى على أمل أيام أجمل وأحلى.

في بلاد الغربة



في بلاد الغربة تجتمع زهرة شباب البلاد، على ملعب عشبي صناعي لا يناسب أقدامهم الحافية المعتادة على الطين والرمل وشجر السنديان والصفصاف ورائحة الطيون والزيزفون.

لتلعب مع الفريق العربي من شباب السويداء، بلد سلطان باشا الأطرش.

ورغم كل الظروف القاسية والمعاناة في تحصيل لقمة فيها الهناء وراحة البال لهم ولأهلهم، فاز الفريق المصيافي على الفريق العربي، وفرحة غمرت المكان وأمل بنصر آخر على الفرق المتبقية.

وطن يابس



بعد غياب دام أكثر من سنة، وذلك بسبب الظروف الطارئة وتراكم غبار السنين العجاف، زرت البلدة المطلة علينا بقلعتها الشماء، وتربتها المتشققة العطشى للماء والكل. دخلت البيت وعانقت الجميع وسعدت كثيرًا بلقياهم، وبعد ارتدائي ثياب النوم طلبت شحاطي الموضوع على الرف الذي كان ينزل درجة مع قدوم كل عريس، ولكن هذه المرة غاب الشحاط والرف معًا، فشعرت بحسرة وغصة.

استيقظت صباح اليوم التالي كالعادة باكرًا، فجلست وحيدًا على المصيف فتذكرت أيام كانت تأتي بصحن الفواكه مع ابتسامة غامرة وطلة بهية وحنو أخت غالية. كنت دائمًا تسبقين الجميع، مع محبتي الغامرة للصبايا، برشفة حنان. افتقدناك أيتها الأخت الصغيرة الحنونة الكبيرة بعطائك، وذات القلب المضمخ بالثلج الأبيض والندى، والغيمة الماطرة في عز الصيف.

مع تمنياتنا لك بحياة جديدة غامرة بالبهجة والفرح في غربتك يا ديمة السكوب.

كنت لنا حضنًا دافئًا مليئًا بالحب والحنان، وبلسمًا شافيًا يداوي جراح الزمان، ووطنًا شامخًا يقارع الذل والهوان.

يوم في الشام القديمة



الضباب يلف الشام بعباءة بيضاء مطرزة وموشاة بعبق الفل والياسمين، وتدثرت بين ثناياها أبحث عن دفء وحنين لأيام خلت.

ومن الساروجة بدأت، وهي أول منطقة بنيت خارج أسوار دمشق القديمة، وتنسب إلى صارم الدين ساروجة، القائد المملوكي في عهد الأمير سيف الدين تنكز. ومنها إلى سوق الحميدية مرورًا بشارع الثورة والسنجقدار والقلعة، الذي بني في عهد السلطان عبد الحميد الأول.

وفي نهايته بقايا معبد جوبيتر والجامع الأموي، وفيه ضريح يوحنا المعمدان أو النبي يحيى، ومقام رأس الحسين شهيد كربلاء.

وخلف الجامع جانب باب جيرون مقهى النوفرة، التي كانت مياهها المتدفقة من نهر يزيد ترتفع لخمسة أمتار، والآن جسد بلا روح. ومنها إلى القيمرية ومكتب عنبر الذي تحول إلى الشارع المستقيم من باب شرقي إلى باب الجابية.

يوم في الشام القديمة — تتمة



وعرجت على حي القنوات، وهو حي أسسه الأثرياء من أهل الشام بعد ازدياد عدد سكانهم. وإلى المرجة (ساحة الشهداء)، وفي منتصفها عمود التلغراف الذي يحمل على رأسه قصر يلدز المصنوع من البرونز الخالص.

وفي مقهى الروضة جانب الصالحية، ملتقى المثقفين والمتعبين، كانت الاستراحة مع كأس شاي دافئة وذكريات جميلة وأحلام مؤجلة.

قامتا سنديان



قامتا سنديان...
في زمن النسيان
الروح والسكينة من أبي
والشموخ والإباء من عمي
صبح مشرق تجلى
بعتمة الليل والدجى
من كروم العنب تقطرا
وبدنان الحب تجمعا
ومنهما شربنا المدام
وطاب الشهد والعسل
بيد يدق المسمار
ويد تحنو على الكتف
عين ترنو للشمس والمدى
وعين على القرآن والكتب
كانا لنا مجدًا وفخرًا
وكنا لهما عطاء ومددًا

في ذكرى الأب والعم



بمناسبة أربعينية عمي عبد الله

1934 — 2016

وقرب سنوية والدي أحمد

1931 — 2015

ذكريات وأحلام



عاد بعد غياب عشرين عامًا في سجن القلعة إلى قريته الجميلة الوادعة، التي تعاني من قلة الماء والظلام الدامس.

استقبلته زوجته بفرح غامر ولفافة التبغ بيدها، حيث أدمنت التدخين أثناء غيابه الطويل والمضني مما أدى لإصابتها بالتهاب رئوي، وكأنها بلفافة التبغ تلك تعوض عن شوقها لقبلة حارة من شفتيه.

وفي المساء ذهبا إلى المقهى لشرب كأس من البيرة الباردة، علها تطفئ لظى الشوق واللقاء الحار بينهما.

وكان هو بأذن واحدة، حيث الأخرى عطبت بضربة أليمة بالصدفة الغريبة. وهي بعين واحدة، حيث الأخرى أطفأتها حرقة الدموع وطول الانتظار.

فسبقته بخطوة واحدة لأنها كانت من رواد المقهى والكل يعرفها، وهو لم يتعود ارتياده بسبب انشغاله بالقراءة والكتابة و.....

فشربا حتى الثمالة، وخرجا مثقلين بذكريات الماضي المؤلمة وأمل بغد مشرق يعيد البسمة وألق الحياة.

2016 / 7

من ليالي الخريف



في ليلة ظلماء ودهماء من ليالي الخريف الجميلة والهادئة، والقمر بدر كامل ووضاء ورفيق دربه زحل (ساترن) لؤلؤة السماء، والمشتري العملاق (جوبيتر) من بعيد يحميهما.

وفي الأفق البعيد الشعرى اليمانية والجبار الشجاع والأندروميدا وذات الكرسي والثريا بنجومها السبع والنسر الطائر.

وبينما هما يتسامران ويتناجيان، القمر وزحل في مسيرهم الليلي والصافي، تعلو الأصوات والأنين في عمق الأرض وقلب العالم مهد المسيح، مرورًا بالشام القديمة وأبوابها السبع وأرض سومر وبابل وآشور.

تذرف دمعتان من السماء، تطفئ لهيب نار مشتعلة، وتسق أرضًا عطشى، وتروي ظمأ أم ثكلى.

ويتوسدان سرير الصباح ويغطان في النوم مع قدوم فجر يوم جديد فيه الأمل والحياة.

حلم جميل



مزاره الدافئ يشرع أبوابه بعد التاسعة ليلًا، والزوار تأتي تباعًا كل حسب وقته وشوقه للقاء حار يجمعهم شمل محبة. يلتفون حول الطاولة كطوق من الآس والريحان، في منتصفها جاط التبولة ومقبلات من صنع يده الدافئة والغامرة بالحب والوفاء، والأقداح ترن وتلمع تعكس صفاء ونقاء القلوب، ولكل واحد منا صحنه البلور وملعقته وشوكته، وحديث فيه ذكريات وشجن وخيبات متتالية وآمال قادمة لبلد أثخنته الجراح.

وله اليد الطولى في استضافة أول ملتقى نحتي، وكانوا يعملون كخلية نحل، ويتنقلون كالفراشات بين منحوتاتهم الجميلة. ولكن للأسف لم تجد المنحوتات ساحات ودوارات لعرضها، وذهبت أدراج الرياح وبعضها طمرته التراب كما تردم أحلامنا المهشمة.

ونال شرف تأسيس أول مركز ثقافي في إسبانيا، وكان سفيرًا فوق العادة بروحه ووجدانه وإنسانيته.

وكانت رسائله تصلنا صباحًا معطرة بعبير زهوره وورده الجميلة تلامس شغاف قلوبنا المتعبة، ومترجمة باللغة الإسبانية تعكس سحر غرناطة وروعة قصر الحمراء.

حلم جميل — تتمة



ومن اسمه أخذ قسطًا وافرًا — رفعت — من الرفعة والسمو.

وعلى زقزقة العصافير وشمس تشرين الدافئة تنسل وتدغدغ ثنايا الروح، استيقظت باكرًا وكان حلمًا جميلًا.

القفل والمفتاح



قصص وحكايات تروى عن القفل الذي تكور عبر الزمن، وأخذ شكل دمعة، في شوق وغصة لعودة السرور والبهجة.

وعن المفتاح الذي تماهى على شكل حصان أبيض، تنتظره على أحر من الجمر كل عاشقة ولهانة وأم مشتاقة.

لهفة القفل للمفتاح كلهفة الشجر لقطرة الندى في الصباحات الباكرة.

خلف الباب صبايا بعمر الورد يتغامزن ويتهامسن بانتظار شاب جميل المحيا يفتح الباب على حين غرة.

وشباب يلعبون ويمرحون ويحتسون الشراب حتى الثمالة، ويفتحون الباب ويتركونه مشرعًا لرياح من الشرق قادمة.

القفل والمفتاح — تتمة



والأولاد الأشقياء في الحارة يختلسون النظر من خرم الباب ويشاهدون الجدة بشالها الحريري وقسمات وجهها التي خطها الزمان تدق الحنطة، والأم تشعل النار وتدك الحطب استعدادًا لطبخ الهريسة، وطفلة صغيرة تطير كالفراشة وتسرق من الأم قبلة تتلوها بضحكة، وصبية فاتنة تلبس تنورة قصيرة مسترخية على الأريكة ترتشف القهوة وتقرأ رواية عشق ممنوعة.

وخلف الباب الموصد، أم ثكلى مرت عليها سبع سنوات عجاف، بانتظار عودة سنابلها السبع: جاسم وياسمين، آرام ودومنا، فرات وزنوبيا، وشهباء ذات العيون الخضراء. الذين رحلوا بسبب القحط والجفاف وانعدام الجاذبية.....!!

القفل والمفتاح



قصص وحكايات تروى عن القفل الذي تكور عبر الزمن، وأخذ شكل دمعة، في شوق وغصة لعودة السرور والبهجة.

وعن المفتاح الذي تماهى على شكل حصان أبيض، تنتظره على أحر من الجمر كل عاشقة ولهانة وأم مشتاقة.

لهفة القفل للمفتاح كلهفة الشجر لقطرة الندى في الصباحات الباكرة.

خلف الباب صبايا بعمر الورد يتغامزن ويتهامسن بانتظار شاب جميل المحيا يفتح الباب على حين غرة.

وشباب يلعبون ويمرحون ويحتسون الشراب حتى الثمالة، ويفتحون الباب ويتركونه مشرعًا لرياح من الشرق قادمة.

القفل والمفتاح — تتمة



والأولاد الأشقياء في الحارة يختلسون النظر من خرم الباب ويشاهدون الجدة بشالها الحريري وقسمات وجهها التي خطها الزمان تدق الحنطة، والأم تشعل النار وتدك الحطب استعدادًا لطبخ الهريسة، وطفلة صغيرة تطير كالفراشة وتسرق من الأم قبلة تتلوها بضحكة، وصبية فاتنة تلبس تنورة قصيرة مسترخية على الأريكة ترتشف القهوة وتقرأ رواية عشق ممنوعة.

وخلف الباب الموصد، أم ثكلى مرت عليها سبع سنوات عجاف، بانتظار عودة سنابلها السبع: جاسم وياسمين، آرام ودومنا، فرات وزنوبيا، وشهباء ذات العيون الخضراء. الذين رحلوا بسبب القحط والجفاف وانعدام الجاذبية.....!!

الحكيم... بائع الدخان والحصرم

نهى إلى سمعي شخص يناديه: حكيم.. حكيم أعطني باكيت دخان. ناوله إياها وعاد إلى كرسيه القش، وارتشف قهوته بعد أن غب سحبة من سيجارته اللف. فسألته باستغراب: هل أنت حكيم ولا بياع؟ فروى لي قصته بعد سحبة ثانية من سيجارته الثخينة.

كنا عائلة جميلة يغمرها الدفء والحنان والحب وعشق الوطن والحياة، وصوت فيروز يشدو صباحًا، وإلياس خضر يصدح مساء، والورود تحيط بنا كطوق ياسمين يزين الفتاة حين تزف. وبينما نحن على ما عليه أتانا قبطان من عالم الغيب وأخذنا، أنا العبد الفقير وأخي الأكبر، في رحلة إلى بحر الظلمات..... كنا نصارع الأمواج العاتية والحيتان السابحة، واستمرت رحلتنا تلك لأكثر من عشر سنوات.

عدنا بعد ذلك سالمين ولكن بخفي حنين. كان قد توفي والدي دون لقائنا، أما والدتنا كانت مريضة من لوعة الغربة والشوق للقيانا (وكانت تربطني بها صلة قربى بالروح والدم)، ومثقلين بديون تكاد تخنقنا.

ولكن من حسن حظ أخي الأكبر أنه وجد عملًا لكونه يملك شهادته، واستقبلته زوجته وابنته التي شبت على نار الوجد والحنين.

الحكيم... بائع الدخان والحصرم — تتمة



أما أنا إسماعيل الذي قدره أن يكون أضحية أبيه إبراهيم الخليل، كنت أدرس الطب علي أصبح طبيبًا — يداوي الناس وهو عليل — ولكني لم أستطع إتمام دراستي لظروف لا أدري ما هي، فاتجهت لهذا العمل المضني والشاق على مضض مع حرقة الفؤاد والأسى على عمر مضى وانقضى، والموصول ليل نهار لأسد به رمقي ويسليني.

ولكن أهل بلدتي الجميلة التي كانت عصية على الرومان، منحوني لقب الحكيم رغم عدم نيلي الشهادة وتعليقها على الجدار. والكل يناديني بأعلى صوته: حكيم... حكيم أعطني باكيت دخان.

أبيض وأسود

بيته البسيط والدافئ يطل على تلة جرداء، تبدو كظبية نائمة على خدر، متحفزة لقدوم أي حيوان ضار.

واسمه ماهر النقاء ولكنه ماهر في اقتناص البؤس والشقاء، سمرة وجهه الندية تعكس لون الحنطة البلدية، وسواد عينيه يعكس بياض قلبه، وظهره أثقلته وأحنته ظروف قاهرة رغم قامته السامقة.

وابنته ريتا ذات القد المياس حاملة بندقية طلقاتها ورود وآس.

وشاء القدر أن يغادر دنيا الحق بإبيضاض الدم الحاد بأيام كلها حلكة وسواد.

وذلك في خريف أيلول المبلول سقطت ورقة صفراء كالذهب المجدول.

2 / 10 / 2024

إجا البرد ع دارنا



إجا البرد ع دارنا وراح الدفا
والولد من حضن أمو.. اختفا
والشب بعز الصبا راح ع الهفا
والبنت ما نالها من الحب إلا الجفا
والأم إيدها ع قلبها والتانيه للوما
والأب حابس دمعة ع أيام الصبا
والست إيديها مبسوطة.... للسما
والختيار إيد ع الخد وعين ع الفلا
وين كنا وين صرنا يا خلان الوفا

عشتار الخصوبة



عشتار الخصوبة والعطاء

الخنساء وأربعتها الشهداء

هيلين الجميلة

بنيلوبي الوفية

هيباتيا الشهيدة

أمي الحبيبة

أختي العطوفة

زوجتي الحنونة

ابنتي المنتظرة

آمال مشرقة

وردة شامية

لكل نساء الأرض والسماء

جنة الخلود لها والعلياء

تأملات مصيافي



تأملات مصيافي

بالذل.... رافضي

بالهوى.. فارضي

بالصلاة توحيدي

بالدعاء... كوني

بالوجدان إنساني

بالحرب مقدامي

بالسلم... سلاحي

بالفكر.. علماني

بالعمل.. ليبرالي

باللسان ابن عربي

عين واحدة



عين واحدة لا تكفي لرؤية البرق
وأذن واحدة لا تكفي لسماع الطرق
ويد واحدة لا تكفي للتصفيق
وساق واحدة لا تكفي للطريق
ورئة واحدة لا تكفي للشهيق
وصرخة واحدة لا تكفي للطلق
وفم واحد فقط يكفي للنطق
للعرب نقطة وللغرب نقطتان

وطن يابس



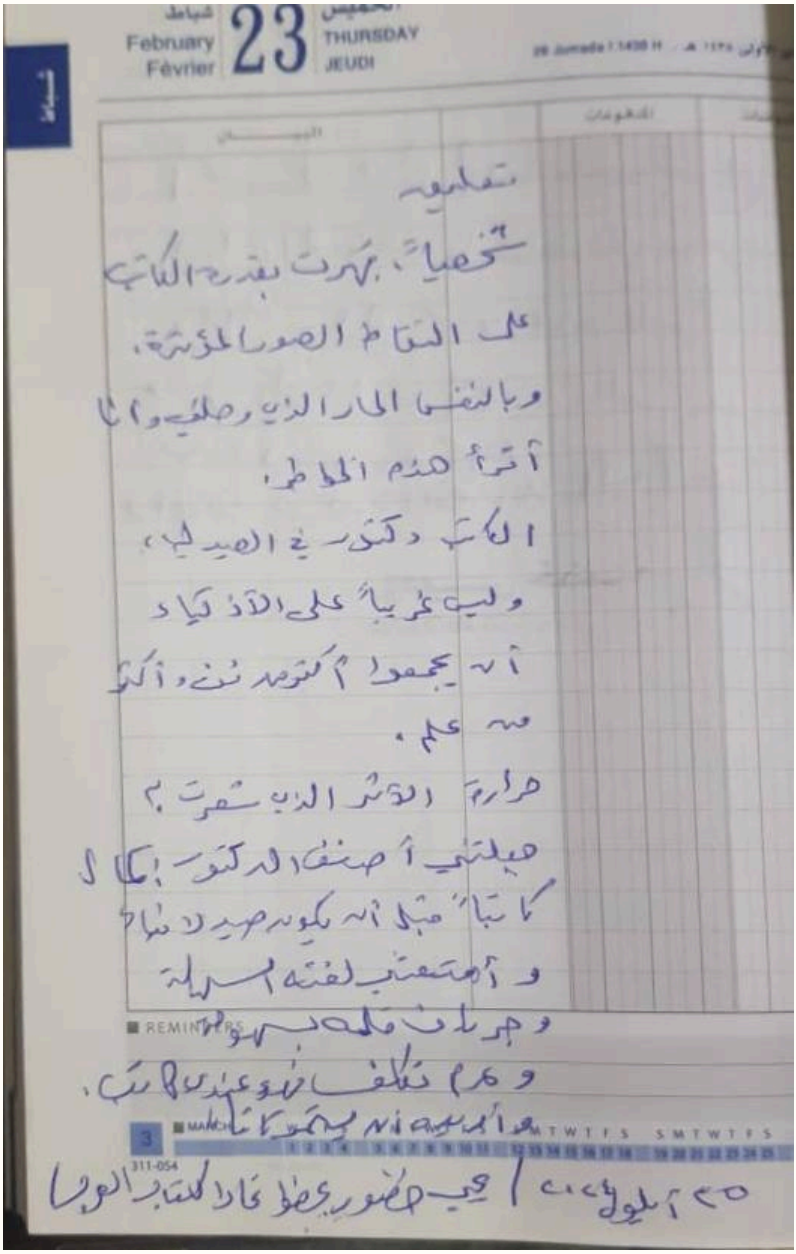
بعد غياب دام أكثر من سنة، وذلك بسبب الظروف الطارئة وتراكم غبار السنين العجاف، زرت البلدة المطلة علينا بقلعتها الشماء، وتربتها المتشققة العطشى للماء والكل. دخلت البيت وعانقت الجميع وسعدت كثيرًا بلقياهم، وبعد ارتدائي ثياب النوم طلبت شحاطي الموضوع على الرف الذي كان ينزل درجة مع قدوم كل عريس، ولكن هذه المرة غاب الشحاط والرف معًا، فشعرت بحسرة وغصة.

استيقظت صباح اليوم التالي كالعادة باكرًا، فجلست وحيدًا على المصيف فتذكرت أيام كانت تأتي بصحن الفواكه مع ابتسامة غامرة وطلة بهية وحنو أخت غالية. كنت دائمًا تسبقين الجميع، مع محبتي الغامرة للصبايا، برشفة حنان. افتقدناك أيتها الأخت الصغيرة الحنونة الكبيرة بعطائك، وذات القلب المضمخ بالثلج الأبيض والندى، والغيمة الماطرة في عز الصيف.

مع تمنياتنا لك بحياة جديدة غامرة بالبهجة والفرح في غربتك يا ديمة السكوب.

كنت لنا حضنًا دافئًا مليئًا بالحب والحنان، وبلسمًا شافيًا يداوي جراح الزمان، ووطنًا شامخًا يقارع الذل والهوان.

صفحات بخط اليد



صفحات بخط اليد — تتمة

